قصائد المدائح النبوية في الأندلس (الموضوعات والظواهر)

د.محمد علي الخربوشي
كلية الآداب والتربية– جامعة صبراته

المقدمة:

عاش الأندلسيون خلال حكم المسلمين الذي استمر ما يزيد عن ثمانية قرون، في فترات سياسية واجتماعية واقتصادية متأرجحة بين الأمن المؤقت والحروب والقتال، وكذلك بين القوة والانحلال، ممَّا جعل الأدباء يتعاملون مع تلك الأمور والأحداث حسب الواقع المعاش في زمنهم، ومن خلال تلك الأحداث. اتجه الشعراء في الأندلس بشعرهم حسب المواقف، فنجدهم عند النصر يمدحون ويتفاخرون، وعند الانكسار يستصرخون ويدعون بكل من تؤمن عقيدتهم بالمساعدة على نصرهم وهزيمة أعدائهم، وهذا ما نجده في تنوع قصائدهم، ومنها قصيدة المدائح النبوية.

ومن خلال البحث والاطلاع وجدت أنَّ لقصيدة المدائح النبوية، موضوعات وغايات وظواهر تتطلَّب الخوض فيها والغوص في معانيها، وقد تكون بداية لمن أراد الخوض في هذا الموضوع لإظهار ما بداخلها من كنوز أدبية وعلمية لازالت دفينة، ويمكن من خلال ذلك تقديم الفائدة للقارئ المتطلّع إلى جواهر الأدب الأندلسي، ويمكن أنْ يكون صورة من صور الاطلاع في المكتبة العربية عموماً، وبليبيا خصوصاً –لذا كان البحث موسوماً بـ: "قصائد المدائح النبوية الأندلسية" (الموضوعات والظواهر).

وقد قسمت بحثي هذا إلى مبحثين، يتناول الأول أقسام أو موضوعات المدائح النبوية الأندلسية ومنها: قصيدة المدح النبوي، والتبرُّك بالأثر، وقصائد التشوق إلى تلك الأماكن التي كانت شاهده على ميلاد تلك الرسالة والأحداث التي مرت بها، والمبحث الثاني: الذي يشمل بعض الظواهر التي لازمت تلك القصائد، وختم البحث بما وصل إليه الباحث من نتائج.

المبحث الأول–موضوعات المدائح النبوية في الأندلس:

من الطبيعي أن يتغنى شعراء الأندلس بصاحب الرسالة، ومنقذ الأمة ورسول البشرية (محمد بن عبدالله) (ﷺ) كغيرهم من شعراء البلاد الإسلامية الأخرى، حباً له ورغبة صادقة في زيارة قبره الشريف، والتبرك به وبنعاله، والعمل بسنته، اتسعت موضوعاته وتنوعت وازدهرت مدائحه، وقد يكون لاتساع هذا النوع بواعث عديدة، منها: ما يكمن في تلك الانكسارات الخارجية والفتن الداخلية بالإضافة إلى الطابع الديني الذي كانت عليه تلك الدول التي تعاقبت في حكم الأندلس.

ولم تكن القصائد المدحية فناً جديداً ظهر بشكل بارز في عصر دولة الموحدين، كما ذهب إلى ذلك فوزي عيسى في كتابه الشعر الأندلسي في عصر الموحدين والمرابطين[1]، بل ظهر هذا الفن قبل دولة الموحدين على يد العديد من الشعراء، أمثال: عبدالملك السلمي المشهور بابن حبيب المتوفى سنة 329هـ، الذي مدح النبي (ﷺ) وتشوق إلى زيارة قبره، بقوله:[2]

خير البرّية والنبيّ المصطفى ∴ هادي الورى لطرائق الجنّاتِ

لمّا وقفتُ بقربه لسلامه ∴ جادتْ دموعي واكفَ العبراتِ

صلّى الإله على النبي المصطفى ∴ هادي البرية كاشفِ الكُرُباتِ

وتنوعت قصائد المدائح النبوية في الأندلس إلى عدة أنواع، منها:

أولاً– قصيدة المدح النبوي:

طبيعي أنْ يتناول شعراء الأندلس المدائح النبوية في شعرهم، وهي تخص مدح النبي (ﷺ) لأنَّه النبي الخاتم والمثل الكامل لكل مسلم، وقد يبدأ الشاعر قصيدته بالصلاة على النبي، ويكرِّر ذلك ثم يأتي بعدها على فضائله وخصاله ومنزلته بين الناس وبين المرسلين والأنبياء، وقد يتطرق إلى ولادته، ونشأته ونزول الوحي عليه، وقد أخذت هذه القصائد في الازدياد منذ عصر أمراء الطوائف الذي أصبحت فيه الأندلس دولاً وإمارات مشتته، مما جعل نصارى الشمال ينشطون لاسترداد الأندلس الإسلامية، ولذلك لم يكن استنجادهم قاصراً على الملوك أو الرؤساء بل كان كذلك

بالنبي (ﷺ)[3]، وبسبب تلك المحن التي مرت على الأندلس في فترات عديدة أمعن الشعراء في التضرع وطلب العون من الله ورسوله لدفع الملمات، ومن ذلك ما قاله: عبد الله بن محمد بن السّيد البطليوسي[4].

أمكةُ تفديك النفوسُ الكرائم ∴ ولا بَرِحت تنهلُّ فيك الغمائمُ

فإنكِ بيت الله الحرامُ الذي ∴ لعزَّتِه ذلَّ الملوك الأعاظم

ومن أَين تعدوكِ الفضائل كُلُّها ∴ وفيكِ مقامان: الهدى والمعالم

ومبعث من سادَ الورى وحَوَى العُلا ∴ بمولده عبد الإله وهاشم

نبيٌّ حوى فضلَ النَّبِيين واغتدى ∴ لهم أوّلاً في فضلهِ وهو خاتم

– وقال محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري من أهل مرسية ويكني بأبي عبد الله ابن الجنان:[5]

وحَقَّك يا محمّدُ إنَّ قلبي ∴ يحبك قربة نحو الإله

جرتْ أمواه حبك في فؤادي ∴ فهام القلب في طيب المياه

فصرت أرى الأمور بعين حقٍّ ∴ وكنت أرى الأمور بعين ساهي

إذ شغف الفؤادُ به وداداً ∴ فهل ينهاهُ عن ذكراه ناهي؟

ومن قوله كذلك:[6]

إلى ضريح رسول ∴ مصّدقٍ حسن ظني

أشدو على كلّ فجٍّ ∴ حينَ الحمامُ يغني

يا أطهرَ الخلقِ إنيّ ∴ بذلّتي عبدُ قنّ

فأعتقِ اليومَ رقّي ∴ وانظر بعطفك منّي

فأنت أنت ملاذي ∴ إيّاك إيّاك أعني

– وللفزازي: وهو أبو زيد عبدالرحمن بن أبي سعيد الذي بلغ شهرة عالية في مدح النبي، وفيها قوله:[7]

يا سيد الرُّسل المكين مكانُه ∴ ومقدّم وهو الأخير زمانُهُ

والمصطفى المختار من هذا الورى ∴ فحملُّه عالي المحلِّ وشأنُهُ
ومن النُّبوة والطهارة والهدى ∴ شرف حواه فؤادُهُ ولسانُهُ
عنوانُ طرس الأنبياء وختْمُهُ ∴ والطرس يُكْملُ حُسْنَهُ عنوانُهُ
فالدهرُ أفقٌ أحمد أصباحه ∴ والخلق جَفْنٌ أحمد إنسانُهُ
ناداك عبد أخرّتْهُ ذنوبُهُ ∴ والشوق تلفح قلبه نيرانه

– وهذه الأبيات من قصيدة لأبي الحجاج بن يوسف موسى المنتشاقري الأندلسي في مدح المصطفى (ﷺ)[8].

حَلَّ في طيبة رسولٌ كريم ∴ فعليه الصلاة والتسليم
صفوة الخلقِ خاتم الأنبياء ∴ مرشدُ الناس للطريق السَّواءِ
والعمادُ الملاذُ في اللأواءِ ∴ وشفيعُ العصاةِ يوم الجزاءِ
يوم يبدو لديه جاه عظيمُ ∴ فعليه الصلاة والتسليمُ
أذهبَ الغيَّ نورُهُ والغياهب ∴ فاضاءت مشارقٌ ومغارب

– يقول أبو عبدالله محمد بن الأبار البلنسي قصيدة في هذا الشأن، منها:[9]

لَوْ عنَّ لي عونٌ من المقدار ∴ لهجرتُ للدَّار الكريمة داري
وحللتُ أطيب طينة من طيبةٍ ∴ جاراً لمن أوصى بحفظ الجارِ
يا زائرين القبر قبرَ محمَّدٍ ∴ بشرى لكُم بالسبق في الزُّوَّار
فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذي ∴ حَمَّلتكُمُ شوقاً إلى المختار

ثانياً– التبرك بالأثر:

تناول شعراء الأندلس في مقطعاتهم وقصائدهم تمثال (نعل) الرسول الأعظم: محمد بن عبد الله (ﷺ)، تقديراً واحتراماً لهذا الأثر النبوي الشريف، وتقرباً به ورغبة في زيارة تلك الآثار التي شهدت على قيام الدولة الإسلامية الأولى، وعدّ الشعراء النعل من الآثار التي تذكرهم بالرسول الكريم، يصفونه ويتبركون به، ومن النصوص الواردة في هذا الشأن أبيات لعلي بن إبراهيم بن محمد... الأنصاري المتوفى عام 571هـ[10].

يا لاحظاً تمثال نعل نبيّهِ ∴ قبّلْ مثالَ النعل لا متكبرا

والثمْ به فلطالما عكفَتْ به ∴ قدمُ النبيّ مروّحاً ومبكراً

أو ما ترى أن الشجيَّ مقبّلٌ ∴ طللاً وأن لم يلقِ فيه مخبرا

– ويقول: أحمد بن علي الأنصاري الأوسي في قصيدته التي تزيد عن خمسة عشر بيتاً[11].

مثالٌ لنعل المصطفى سيد الورى ∴ نبي الهدى المختار من آل هاشم

حذاه لنا أشياخنا عن شيوخهم ∴ بإسنادهم عن عالم بعد عالم

فأهدى إلى أبصارنا كل قرة ∴ ونال به أقصى المُنى كلَّ لاثم

تلقته منا أوجهٌ بخدودها ∴ والقته أيدينا مكان العمائم

وعُفرت الوجنات فيه محبة ∴ والصق تقبيلاً له بالمباسم

ومن الشعراء الذين مدحوا الرسول (ﷺ) وأشادو بمعجزاته ونبل أخلاقه ويسر دينه وسماحة سيرته: ابن الأبار البلنسي الذي كان الزمان حائلاً دون تمكنه من زيارة قبر الرسول (ﷺ)، ومن نظمه تكريماً ومدحاً وتقرّباً لمثال نعل الرسول (ﷺ)، قوله:[12]

لمثال نعل المُصطفى أصْفِى الهوى ∴ وأرى السلو خطيئة لن تغفرا

وإذا أصافحه وأمسحُ لاثماً ∴ أركانَهُ فمعززاً وموقّرا

سرُّ اعتزازي في جهاز تدللي ∴ لجلاله أثراً بقلبي مُوقرا

إن شاقني ذاك المِثالُ فطالما ∴ شاق المعبَّ الطيفُ يطرقُ في الكرى

وذكر مؤلف كتاب الحنين في الشعر الأندلسي، محمد أحمد دقالي أنَّ هذه الأبيات لم ترد في ديوان ابن الأبار[13]، والصواب أن هذه الأبيات موجودة في ديوان الشاعر المحقق من طرف عبدالسلام الهراس، ص:462.

ويتشوق أبو عثمان سعيد بن الحكم إلى لثم نعل المصطفى (ﷺ) ويرى في لثمه شفاء له، وأنَّ رؤيته لتلك التربة المقدسة تبعث في نفسه السرور والابتهاج، وفي ذلك قوله:[14]

برأسي مثال لنعل القدم ∴ ألا بل مثالٌ لنعل الكرم

مثالٌ لنعل نبي الهدى ∴ حنته ثقاتٌ فما تُتَّهْم

ألست لما قد حَذْوه عليه ∴ مشوقاً وما الشوق إلا ألم

وليس الشفاء سوى أن أرى ∴ بموطئه ألْثُم التُّرب لثم

نلاحظ مما سبق أن أغلب شعراء الأندلس عدّو نعل النبي (ﷺ) من الآثار التي تذكرهم بالرسول الكريم، يصفونه ويتبركون به، وأنَّ في لثمه شفاء للصدور.

ثالثاً– قصائد التشوق:

يدخل هذا النوع من الشعر ضمن المدائح النبوية، يتحدث فيها عن شوقه وتلهفه إلى زيارة قبر النبي (ﷺ)، أو إلى الأماكن التي شهدت يوماً إشراقة الرسالة المحمدية، وعاشت لحظات الدعوة في محنتها، ومنها:

– القصيدة النونية لأبي زيد الفزازي، تعبر عن حبه وحنينه إلى الرسول (ﷺ)[15].

يا سيّد الرُّسل المكينَ مكانُه ∴ ومقدمٌ وهو الأخير زمانُهُ

ناداك عبدُ أخّرته ذنوبُهُ ∴ والشوق تلفح قلبه نيرانه

وفدتْ عليك ركابُ أرباب التُّقوى ∴ والمذنبُ الخطَّاء كُفَّ عنانه

كتب الكتاب لعلَّه إن لم يزُرْ ∴ باللَّحظ قبرك أن يزور بنانُه

لكن حبّك شافع ومشفع ∴ يغشي محبُّك يمنه وأمانه

– وقال محمد بن أحمد بن جبير في قصيدته الشهيرة التي نظمها وقد شارف المدينة المكرمة طيبة[16].

أظن النفوس قد استشعرت ∴ بلوغ هوىً تَخِذته شِعارا

بشاير صبح السُّرى آذِنت ∴ بأن الحبيب تدانى مزارا

جرى ذكرُ طيبة ما بيننا ∴ فلا قَلْبَ في الركب إلاّ وطارا

حنيناً إلى أحمد المصطفى ∴ وشوقاً يُهيج الضلوع اسْتِعارا

نلاحظ مدى تشوق الشاعر إلى الوصول للمدينة المنورة، وأنَّ القلوب متلهفة إلى زيارة قبره الشريف.

– وله كذلك وهو في فرحة عارمة بأنْ منَّى الله عليه بالحج وزيارة تلك الأماكن المقدسة[17].

هنياً لمن حجَّ بيت الهُدى ∴ وحطّ على النفس أوزارها

وإن السعادة مضمونة ∴ لمن حجّ طيبة أوزَارها

– ومن الشعراء الذين حنّو إلى الرسول الكريم، من خلال ذكر مناقبه ومعجزاته: ابن سعيد المغربي، وله في ذلك:[18]

فحماك بالغار الذي هو من أدلِّ ∴ المعجزات وخاب من يترصَّد

ووقاك من سمِّ الذراع بلطفه ∴ كيما يغاظ بك العدا والحُسَّدُ

– وله كذلك:[19]

والجذع حنّ إليك والماء إنهمى ∴ ما بين خمسك والصحابة شُهّدُ

والذئب أنطق للذي أضحى به ∴ يهدي إلى سبل النجاح ويرشدُ

ماذا أقول إذا وصفتُ محمداً ∴ نفذ الكلام ووصفه لا ينفد

فعليك يا خير الخلائق كلها ∴ مني التحية والسلام السرمد

نلتمس حنين الشاعر إلى الرسول (ﷺ) من خلال ذكر قصة الغار، والحماية من الذراع المسموم، وهذا من باب إغاضة الكفّار الحاسدين، وأورد الشاعر كذلك حنين الغصن إليه، وخروج الماء بين أصابعه، ونطق الذيب، وكلها توحي بمدى حنين الشاعر إلى الرسول الأعظم (ﷺ).

المبحث الثاني– بعض الظواهر في قصائد المدائح النبوية:

مرت الأندلس بفترة طويلة نسبياً وهي تحت حكم الدولة الإسلامية، عاشت خلالها بين الاستقرار وإعمار وتطور، وبين حروب ودمار مع النصارى، الأمر الذي جعل أهل الأندلس يتخوفون من القادم المجهول والذي أصبح حقيقة بعد استيلاء

النصارى على تلك المدن الإسلامية، وحدث خلالها ما حدث، لهذا نجد الشعر الأندلسي يتطور مع تلك الأحداث التي تعنى الزهو أحياناً، والاستغاثة والدعوة إلى الله ورسوله بالنصرة والعون أحياناً أخرى، ونجد من خلال هذه التطورات بعض الظواهر في شعر المديح النبوي، نذكر منها:

أولاً: الإطالة.

تمتاز هذه القصائد بالإطالة والاستفاضة، حيث يبدأ الشاعر قصيدته بالصلاة على النبي (ﷺ) ويكرر ذلك أحياناً بلفظ (صلوا) ثم يأتي بعدها على فضائله ومكارمه ومنزلته بين الناس، وبين المرسلين والأنبياء، ويتحدث عن الإسراء والمعراج مسهبين في ذلك، وقد يتطرقون إلى ولادته ونشأته ونزول الوحي عليه، وقد يذكر الشاعر اسمه في نهاية القصيدة، وتختم في الغالب بالاعتذار إلى الرسول عن التقصير في مدحه أو عدم تمكنه من زيارته، ومن هذه المطولات.

– قصيدة طويلة بارعة في مدح النبي (ﷺ) تزيد على ثلاثمائة وعشرين بيتاً، لأحمد بن محمد بن ميمون الأشعري، سماها (خلاصة الصفاء من خصائص المصطفى)، ومنها:[20]

لأحمد خَيرِ الخلق أُهدي تحيتي ∴ محمداً الأمِّي بحكم وحكمة

مدحت رسول الله والمدح دونه ∴ ولو ملأ المُدَّاح كل صحيفة

فماذا يقول العاملون وربهم ∴ كساه من الأمداح أسبغ حلة

ولكن في جهد المقل لنفسه ∴ رجاءً وحَسُن الظن بيت القصيدة

وله كذلك:[21]

تقرب الناس للمولى بجهدهم ∴ من مدح من ساد كل الخلق في الأزل

أموا الجناب بأمداح ومعذرة ∴ وحمت حول الحمى في غاية الخجل

ثم اطلعت على تقصير مطنبهم ∴ فالعجز عن مبدإ الإدراك من عملي

– ومن بديع نظم محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، ويكني بابن الجنان هذا التخميس في مدح سيد الرسل والتي تصل إلى تسع وعشرين مخمسة، منها:[22]

الله زاد محمداً تكريما
وحباه فضلاً من لدنه عظيما
واختصه في المرسلين كريما
ذا رأفه بالمؤمنين رحيما صلوا عليه وسلموا تسليما

– ومن المطولات قصيدة لابن جابر الأندلسي، سماها (الحلة السِّيراء في مدح خير الورى)، عدد أبياتها ثلاثمائة بيت، منها قوله:[23]

إنّ رسولَ الله مصباح هُدىً ∴ يُهْدَى به من في دُجى الليل مَشَى
إن تَحْبَ الرُّسْلَ سماءً قَدَ بَدتْ ∴ فإنَّه في أُفقِها نجمُ هُدَى
وإن يكونوا أنجُماً في فَلَكٍ ∴ فإنَّه من بينهم بَدْرٌ بَدَا
أحسنُ أخلاقاً من الرَّوضِ إذا ∴ ما اختالَ في بُرد الصِّبا أو ارتدى
تفديه نفسي من شفيع الورى ∴ وقلَّتِ النفسُ له منيّ فِدا

وقد ضمن ابن جابر هذه القصيدة كثيراً من الخواطر والحكم وشمائل الرسول (ﷺ) ومعراجه ومعجزاته، وكذلك حجة إلى البيت الحرام، وزيارته قبر المصطفى (ﷺ).

ثانياً– الظواهر الشكلية:

تشمل هذه الظاهرة القصائد المدحية النبوية، والدينية، وهي تكرار الصلاة على النبي أكثر من مرة، وقد تستغرق الأشطار الأولى من القصيدة كلها، وفي ذلك دلالة واضحة على مدى تعلق الشاعر الأندلسي بحب النبي (ﷺ)، والرغبة الملحة في زيارة قبره الشريف، وتلك الأماكن التي عايشت الدعوة المحمدية، وطلب الشفاعة والنصرة على الأعداء النصارى، ومن هذه القصائد.

– ما قاله ابن العريف المتوفى، سنة (536هـ):[24]

صلى الإلهُ على النبيَّ الهادي ∴ ما لاذت الأرواحُ بالأجساد
صلّى عليه الله ما أسودّ الدجى ∴ فكسا محيّا الأفقِ بُرْدَ حِدادِ

صلّى عليه اللهُ ما انبلج السنا ∴ فابيضَّ وجه الأرض بعد سواد

– ويقول ابن العريف في نهاية قصيدته التي بلغ عددها الواحد الثلاثين بيتاً[25].

صلّى عليه مَنْ غَداهُ بنعمةٍ ∴ فتضاعفت كتضاعف الأعدادِ

صلّى عليه من كساه عوارفًا ∴ واختصهُ منه بخير أياد

– وفي ذلك نجد أبو عبدالله ابن الجنان يكرر كلمة (صلوا على) في بداية قصيدته قائلاً:[26]

صلوا على خير البرّية خيما ∴ وأجلِّ من حاز الفخار صميما

صلوا على من شُرِّفتْ بوجوده ∴ أرجاءُ مكّة زمزماً وحَطيما

صلوا على أعلى قريشٍ منزلاً ∴ بَذَراه خيَّمتِ العُلا تخييما

– ومن القصائد التي يلتزم فيها الشاعر قوله (سلام على أو سلام عليه)، قصيدة لابن الجنان المرسي في مدح النبي (ﷺ) ومنها قوله:[27]

سلام على من جاء بالحق والهدى ∴ ومن لم يزل بالمعجزات مؤيدا

سلام على هذا الرسول وما لنا ∴ كفاءً لتسليم كريم به ابتدا

سلام عليه إن ذكراه جددت ∴ غرامي وما زال الغرام المجددا

– ونجد في هذا الشأن مخمسة ابن المرحل المالقي، حيث يلتزم فيها بحرف واحد بدأ ورورياً على اصطلاح أهل المغرب، ويلتزم في التخمسة الأخيرة بقوله: (صلّوا عليه وسلّموا تسليما)، وفي ذلك دلالة واضحة في المحبة الصادقة للنبي الكريم، وشوقًا إلى زيارة تلك الأماكن التي شهدت بعثته، ومنها قوله:[28]

ألف: أجل الأنبياء نبيء

بضيائه شمس النّهار تضئ

وبه يؤمّلُ محسن ومسئ

فضلاً من الله العظيم عظيما صلوا عليه وسلّموا تسليما

باء: بدا في أفق مكّة كوكباً

ثمَّ اعتلى فجلا سناه الغيهبا
حتى أنار الدهرُ منهُ وأخصبا
إذ كان فيضُ الخير منه عميماً ∴ صلوا عليه وسلّموا تسليما

ويستمر في ذلك النمط إلى قوله:[29]

ياء: يحيِّيه ويسقيه الحَيا
ربُّ العباد مجازياً وموفيا
ومشرفاً ومسلماً ومصليا
يا مسلمين ورثتُم التسليما ∴ صلّوا عليه وسلّموا تسليما

ثالثاً- المعارضة:

شاعت ظاهرة المعارضة بين شعراء الأندلس وانتشرت أسوة بشعراء المشارقة، عندما يستحسن الشعراء قصيدة نجدهم على منوالها ينسجون، وفي أفقها يحلقون، ويمكن القول بأنَّ المعارضة في الشعر أنْ يقول الشاعر قصيدة تتفق مع قصيدة سابقة، قديمة أو معاصرة لها، في الوزن والقافية والموضوع، ويمكن أنْ يكون هناك بعض الاختلاف البسيط عن هذه الضوابط، ولعلى ما أثبته المقري في النفح من معارضات الشعراء لعدد من القصائد، ومنها على سبيل المثال الحصر:[30]

قصيدة لابن الجنان التي عارضها العديد من الشعراء، ومنها:

أوصافُ سيدنا النبيِّ الهادي
ما نالها أحدٌ من الأمجادِ
فالرسُل في هدي وفي أرشاد
قد سلّموُا لنبيَّنا تسليما ∴ صلّوا عليه وسلّموا تسليما

آياته بصرتْ سنا وسناء
وأفادت القمرين منه ضياء
وعلتْ بأعلام الظهور لواءً
فهدى به الله الصراط قويما ∴ صلوا عليه وسلّمُوا تسليما

ودانت النجوم الزُّهرُ يومَ ولادتهْ

ورأت حليمةُ آيةً لسيادتهْ

وتحدثتْ سعدٌ بذكر سعادتهْ

فتفاءلوا نعمَ اليتيمُ يتيما ∴ صلوا عليه وسلّمُوا تسليما

– ومن القصائد المعارضة لقصيدة ابن الجنان هذه، وفي نفس البحر والروي، قصيدة لأبي إسحاق ابراهيم بن سهل الاسرائيلي الإشبيلي، ومنها:

جعل المهيمنُ حبُ أحمد شيمه

وأتى به في المرسلين كريمةً

فغدا هواه على القلوب تميمةً

وغدا هداه لهديهم تتميما ∴ صلّوا عليه وسلموا تسليما

أبدجبينُ أبيه شاهدَ نوره

سجعت به الكهّانُ قبل ظهوره

كالطير غرَّدَ معربًا بصفيره

عن وجه إصباح يطلُّ نسيما ∴ صلوا عليه وسلّموا تسليما

ويستمر الشاعر في مخمسته الدعائية التي يقول فيها:[31]

يا ربِّ يا ذا المنِّ والإحسان

جُدْ بالرضى والعفو والغفرانِ

للوالدين ومنشد الأوزانِ

والسامعين أنلهمُ تنعيما ∴ صلوا عليه وسلِّمُوا تسليما

– ومن الشعراء الذين عارضوا ابن الجنان: مالك بن المرحل المالقي، وهي من غرر القصائد، ومنها:[32]

نبيٌّ جاءنا ببيانِ

وبمعجزات أبرزتْ لعيانِ

وبحسه أن جاء بالقرآن

يشفي قلوباً تشتكي وجسوما ∴ صلّوا عليه وسلّموا تسليما

عزيزٌ ذكرُهُ مرفوعُ

في الأنبياء وقولُهُ مسموعُ

مشروح صدر حبُّه مشروعُ

من لا يدين بذاك كانَ ذميما ∴ صلّوا عليه وسلّمُوا تسليما

هو الهادي الذي اقتدح النُّهى

فتفكرت في ملك من رفع السّما

وقضى بحد للأمور ومنتهى

فأفادها النظر السديد عموماً ∴ صلّوا عليه وسلّمُوا تسليما

– ومن القصائد المعارضة نجد قصيدة لأبي العباس أحمد بن محمد بن العباس، ومنها قوله:[33]

الله زاد المصطفى تعظيما

وقضى له التفضيل والتقديما

وأنالَهُ شرفاً لديه جسيما

فهو المتممَّ فخرُهُ تتميما ∴ صلّوا عليه وسلّمُوا تسليما

صلّوا على من خصَّ بالأنبياء

وأبوه ما بين الثرى والماءِ

ثمَّ استمرَّ النور في الآباءِ

فتوارثوه كريمة وكريما ∴ صلّوا عليه وسلّموا تسليما

صلوا على من بالشرائع قد أتى

وأباد أحزاب الطغاة وشتّتا

وأبان أسباب النجاة ووقتا

للأمة التحليل والتحريما ∴ صلّوا عليه وسلّمُوا تسليما

– ومن تلك القصائد، قصيدة أبي العباس أحمد بن القاسم الإشبيلي الشهير بابن القصير المخمسة، ومنها:[34]

اللهُ أكرم أحمداً تكريما
فغدا رسولاً للعباد كريما
فأشكر غفوراً للذنوب رحيما
أرضى النبي بقوله تعليما ∴ صلّوا عليه وسلّمُوا تسليما

من جاء بالقرآن معجزة لَهُ
أعيا الورى من بعده أو قبلَهُ
الله كرّمه وفضّل فضلَهُ
وأجل منْهُ فرعَهُ وأصلَهُ ∴ صلّوا عليه وسلّموا تسليما

الخاتمة:

وفي ختام البحث، هذه جملة من النتائج التي توصل لها الباحث:

1- تكاثرت المدائح النبوية في الأندلس منذ عصر أمراء الطوائف التي أصبحت فيه الأندلس دولاً وإمارات كثيرة بسبب التفرق وحب الذات – صارت بسببها لقمة سائغة للنصارى، الأمر الذي جعل الشاعر الأندلسي يفزع إلى مدح النبي (ﷺ) آملاً أنْ تستمد منه الأندلس القوة والتماسك لردع النصارى.

2- اتسعت المدائح النبوية من بداية القرن السادس، حتى أصبح المديح النبوي غرضاً من أعراض الشعر الأندلسي.

3- إفراد أهل الأندلس المدائح النبوية كغرض مستقل بذاته، وهذا لم نجده عند شعراء المشرق، إذ كانت المدائح النبوية تأتي في ثنايا قصائدهم ذات الأغراض المختلفة.

4- ازدهر هذا النوع من الشعر في الأندلس خاصة، نتيجة للظروف والأحداث التي مرّ بها الأندلسيون في تلك الفترة التي تفاوتت بين الشدّة والرخاء.

5- نجد الشعراء في الأندلس يرددون أسماء الأماكن الحجازية منها: طيبة التي تعني المدينة المنورة، وأماكن أخرى كمنى، ويثرب، وزمزم، والبيت العتيق، وهذه الأسماء تحوى على شحنة تاريخية كبيرة، تعطى للقصيدة بعداً زمنياً، وتثير جواً روحانياً لها.

6- في ظاهرة التكرار دلالة واضحة على مدى تعلق الشاعر الأندلسي بحب النبي (ﷺ)، والرغبة الملحة لزيارته.

7- مجمل الأقسام الثلاثة لقصيدة المدح النبوي تدور حول معنى واحد، وذلك المعنى هو النبي (ﷺ)، وليس تكريم تمثال النعال تعزيره، وليس تفخيم القبر وتلذذ التعبق بترابه، وتقبيل الحجارة إلا تعبيراً عن تقديس صاحب النعل واكباراً له، وحبًا لرسالته، والسير على خطاه.

هوامش البحث

1- الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، محمد مجيد السعيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، سنة: 1985م، ص: 269.

2- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الخامسة، ج: 1، ص: 46.

3- تاريخ الأدب العربي في الأندلس، إبراهيم علي أبو الخشب، دار الفكر العربي، مصر، الطبعة الأولى، سنة 1966م، ص: 190.

4- أزهار الرياض في أخبار عياض، للمقري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة، ج: 3، ص: 147.

5- نفح الطيب، للمقري، ج: 7، ص: 497.

6- المصدر نفسه، ج: 7، ص: 498.

7- آثار أبي زيد الفزازي الأندلسي، تحقيق: عبدالحميد الهرامة، دار قتيبة، الطبعة الأولى، سنة: 1991م، ص: 7.

8- نفح الطيب، للمقري، ج: 7، ص: 513.

9- ديوان ابن الأبار البلنسي، قراءة وتعليق: عبدالسلام الهراس، وزارة الأوقاف المغربية، سنة: 1999م، ص: 463.

10- الذيل والتكملة، لعبد الملك المراكشي، تحقيق: محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، السفر الأول، القسم الأول، ص: 189.

11- المصدر نفسه، ص: 330.

12- ديوان ابن الأبار، تحقيق: عبدالسلام الهراس، ص: 462.

13- الحنين في الشعر الأندلسي، محمد أحمد الدقالي، هامش، ص: 356.

14- اختصار القدح المعلى، علي بن موسى بن سعيد المغربي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الاولى، سنة: 1980م، ص: 32.

15- آثار أبي زيد الفزازي الأندلسي، تحقيق: عبدالحميد الهرامة، ص: 37.

16- الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، سنة: 2001م، ج: 2، ص: 235.

17- المصدر نفسه، ص: 237.

18- الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري)، محمد أحمد دقالي، دار الوفاء، الاسكندرية، الطبعة الأولى، سنة: 2008م، ص: 353.

19- المصدر نفسه، ص: 353-354.

20- الذيل والتكملة، لعبدالملك المراكشي، تحقيق: محمد بن شريفة، السفر الأول، القسم الثاني، ص: 522.

21- نفس المصدر والصفحة.

22- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، تحقيق: محمد بن شريفة، ج:7، ص: 432.

23- تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ص: 376-377.

24- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، تحقيق: إحسان عباس، ج:7، ص: 498-499.

25- نفس المصدر والصفحة.

26- نفس المصدر، ص: 440.

27- ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي، تحقيق: منجد مصطفي بهجت، مطابع التعليم العالي، بغداد، ص: 80.

28- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، تحقيق: إحسان عباس، ج:7، ص:453.

29- المصدر نفسه، ص: 453.

30- نفس المصدر: ص: 445.

31- المصدر نفسه، ص: 442-470.

32- المصدر نفسه، ص: 446-447.

33- المصدر نفسه، ص: 460.

34- المصدر نفسه، ص: 468.